القاضي النعمان: المؤرخ الداعي

د.محمد الناصر صدّيقي*

المقدّمة:

تطلّب توطيدُ الخلافة الفاطميّة ببلاد المغرب القيام بتعديلات إصلاحية في المناهج والأهداف الحركية للدّعوة الإسماعيلية وسياساتها، وَفق ما فرضتُه حاجات الدولة وحقائق المناخ المذهبي في بلاد المغرب. فالمذهب الأشعريّ – على خطى مالك بن أنس –كان مترسّخا بإحكام ومنتشرا بين سكّان بلاد المغرب باستثناء المكوّنات الإباضية في جبل نفوسة و في المغربين الأدنى والأوسط.

وكان لهذا الإصلاح رجالاته في بداياته الأولى أيّام الخليفة عبد الله (عبيد الله) المهدي، وأخذ طابعا واضحا على يد المعزّ لدين الله الفاطمي[1] وقد اكتمل بنيان الخلافة وتمّ وضع قوانين لنظام الحكم وضوابط. فكان القاضي النعمان "أبو حنيفة الشيعي"، الذي يعد من أكثر الشخصيات الإسماعيلية ديناميكية وإثراء للمنظومة "الدعوة الإسماعيلية". فهو وليد تلك البيئة التي مهدت الطريق وبسطته لجمهورها سواء في الفترة الدعوية للإنتشار الشيعي بإفريقية والمغرب الأوسط أو في فترة التأسيس وبناء الدولة العقائدية.

كما كان من بُناة الجهاز التشريعيّ للخلافة الفاطميّة وجهازها الدعويّ، حتّى أصبحت "الدعوة الإسماعيلية" تعتمد على أفكاره وآرائه بالقدر الّذي اعتمدت فيه على سلطة الخلفاء الفاطميين.

ولم تقتصر أنشطة القاضي النعمان الفكرية على الجانب الفقهي والتشريعي الضخم بل تعدّته إلى ما هو معرفيّ، أعني إضافته المكتبة العربية الإسلامية عموما والمكتبة الفاطمية على وجه التخصيص. فكانت مؤلفاته غزيرة في علوم العقيدة والفقه والتّأريخ. وتميزت مؤلفاته بعدم الإسهاب في التأويل كعادة دُعاة الإسماعيلية وفلاسفتها الأوائل. والّذي يعنينا من هذا كلّه، شخصية المؤرّخ فيه من خلال كتبه التّاريخيّة.

1- القاضي النعمان: بين التنوّع والغزارة:

1-1 : شخصية القاضي النعمان المغربي:

هو أبو حنيفة "المغربي" النّعمان بن أبي عبد الله محمّد بن منصور بن حيّون التميميّ. تلقّبه المصادر الإسماعيلية بـ: سيدنا "القاضي النعمان" خشية وقوع التباس بينه وبين الإمام أبي حنيفة النعمان، مؤسس المدرسة الفقهية الحنفية[2] .

وعاش القاضي أبو حنيفة النّعمان التميميّ المغربي في النصف الأول من القرن الرابع. وكان مكان ولادته محلّ اختلاف وتضارب بين المؤرّخين، فكتب الإسماعيلية تشير إلى أنه ولد في المهدية[3] فيما تذكر دراسات أخرى أنّه من أهل القيروان مولدا ومنشأ، وقد أغفلت المصادر المعروفة تاريخ ولادته. فلا نعرف على وجه الدقة تاريخ ولادته وإن ذهب بعض المؤرخين إلى ترجيح ذلك في سنة (259هـ /873م)[4] بينما رجّح آخرون أنه ولد في العُشر الأخير من القرن الثالث الهجري[5] وقد شكك محمد كامل حسين في ترجيحية Gottheil واستغرب ذلك خاصة وأن القاضي النعمان قد توفي بالقاهرة في أواخر سنة **363**هـ/974م، وبذلك يكون قد عمّر أكثر من قرن وقد توفي وهو قاضي قضاة مصر آنذاك[6]. وقد أشار مجموعة من الباحثين في تحقيقهم لكتاب القاضي النعمان "المجالس والمسايرات" إلى إمكانية ولادته بين 283 و290 هـ فيكون دخل في خدمة الخليفة المهدي في سنّ تتراوح بين 23 و30 سنة[7] . والمرجّح ما ذهب إليه محقّقو كتاب "المجالس والمسايرات" بأن ولادة هذه الشخصية كانت في العشرية الأخيرة من القرن الثالث.

ولا تزال الإفادات الّتي دوّنها القاضي النعمان في كتابه "المجالس والمسايرات" من أهمّ المعلومات الإيضاحية عن حياته في الطور الإفريقي. وما يعنينا في شخصية القاضي النعمان المغربي هو التحول الفكري في حياته من الأشعرية على منهج مالك الفكري إلى الإمامية الإسماعيلية[8] ممّا أثار عليه كل مدارس الأشعرية، فعدُّوه منتحلا بالرغم من اعترافهم بغزارة إنتاجه الفكري[9] بينما نعته آخرون بالباطني والزنديق.[10]

وإذا عدنا إلى الانتماء المدرسي الفقهي للقاضي النعمان قبل الوجود الفاطمي بإفريقية، فلا بدّ من التأكيد على أن غالبية أهالي إفريقية كانوا يقتدون بالمدرسة الفقهية المالكية على عكس الآراء القائلة

بإنتشار المقلدين لأبي حنيفة النعمان (الأشعري) في العهد الأغلبي واعتبروا تقليد مالك كان في زمن المعز بن باديس الصنهاجي بُعيد انقلابه على الفاطميين[11] فالمالكية هي المذهب المنتشر بين الجمهور بإفريقية مع وجود حنفي، يتعايشان في ألفة عجيبة على حدّ قول المقدسي.[12]

والظاهر أن الإنتماء المذهبي الجديد للقاضي النعمان من الأشعرية المالكية إلى الإمامية الإسماعيلية لم يرق لغلاة الأشاعرة فتحاملوا عليه، واتّهم بالمروق والارتداد عن الدّين، بل حتّى الإنسلاخ من الإسلام على حدّ قول بعضهم[13]

وكان القاضي النعمان رجلا متعدّد المواهب، غزير العلم، واسع المعرفة، عادلا في أحكامه، محقّقا ومؤلّفا متعمّقا في أبحاثه العلميّة (فقه، تشريع ، فلسفة، تاريخ). والذي يعنينا من دراستنا هذه هو تناول شخصية الداعي المؤرخ عند القاضي النعمان المغربي، الذي برز في عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله رغم اشتغاله بالقضاء في عهد الخلفاء الفاطميين الأوائل ببلاد المغرب[14] وتمتّع بثقته، فأصبح جليسه الأوثق في كل الأوقات. وقد تجلّت تلك المسايرة والمعاشرة في ولادة مؤلف عظيم سمّاه "المجالس والمسايرات" وخصّصه لتناول مجريات البلاط المعزّي من أمور الحكم والسياسة وغيرها.

وقد عُدّ هذا المصنّف المشروع الأكبر للبلاط الفاطمي[15]، كما اعتبرت مؤلّفات النّعمان الأخرى مثيلة بالمراجع في الأحوال الشخصية.

1-2: مؤلفات القاضي النعمان:

وما جاء على لسان "ابن زولاق" أن القاضي النعمان "كان في غاية الفضل من أهل القرآن والعلم بمعانيه. وعالما بوجوه الفقه وعلم إختلاف الفقهاء واللغة والشعر الفحل والمعرفة بأيّام الناس مع عقل وإنصاف"[16] . ولم يقتصر نشاط القاضي النعمان الفكري على ناحية واحدة بل ساهم في مختلف فروع المعرفة التي أغنت المكتبة الإسلامية عموما والإسماعيلية على وجه التخصيص من الفقه والعقيدة والتأويل والتأريخ والدعوة وكما قال ابن زولاق (ت 387هـ): "ألّف لأهل البيت من الكتب آلاف الأوراق بأحسن تأليف وأملح سجع".[17]

وأضاف المرحوم مصطفى غالب – وهو من إسماعيليّ سورية – قوله: "وتمتاز مؤلفات القاضي النعمان بعدم الإغراق والتأويل التي تتسم به كتب الدعاة الإسماعيلية التي وضعوها في أدوار الستر"[18] وقد استقصى المستشرق الروسي فلاديمير إيفانوف للقاضي النعمان "45" كتابا ورسالة[19] بينما أشار الباحث الإسماعيلي إسماعيل قربان حسين پوناوالا إلى وجود "62" كتابا[20] من تأليف القاضي النعمان أما الأعظمي فقد نسب إليه أربعة وأربعين كتابا منها ثمانية عشر يحتفظ بها إلى الآن، وأربعة عشر يرجّح وجودها واثنان وعشرون فقدت[21] وقد اجتهدت في تبويب المواضيع التي تطرق إليها القاضي النعمان في كتاباته سواء كانت عقدية، فلسفية، أو تلك التي ارتبطت بقوانين وشرائع الحكم عند الفاطميين ناهيك عن اجتهاداته الفقهية أو تلك المدونات الإخبارية والتاريخية أو رسائله الوعظية غير الدعوية وقد قسمتها على الأبواب التالية:

- باب: في الأخبار والوعظ والتاريخ: "شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار"، "قصيدة ذات المحنة"[22]، "قصيدة ذات المنن"[23]، "رسالة إلى المرشد الداعي بمصر في تربية المؤمنين"، "المجالس والمسايرات في تاريخ الإسماعيلية وعقائدهم"[24] بينما ذكر "المجدوع" في كتابة "الفهرس المجدوع" عنوانا آخر وهو: "المجالس والمسايرات والمواقف والتوقيعات"[25] ، "معالم المهدي"، "المناقب لأهل بيت رسول الله"، "افتتاح الدعوة".[26]
- باب في الفقه وعلوم الدين نذكر: "كتاب الإيضاح"، "مختصر الإيضاح"، "الأخبار في الفقه"، "الاقتصار"، "المنتخبة"، "دعائم الإسلام في ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام"، "منهاج الفرائض"، "الاتفاق والافتراق"، "المقتصر والينبوع"، "كتاب الطهارة".
- باب المراسلات العلمية في الردود على الفقهاء والعلماء نذكر؛ "اختلاف أصول المذاهب"، "الرسالة المصرية في الرد على الشافعي"، "الردّ على أحمد بن سريح البغدادي"، "ذات البيان في الرد على ابن قتيبة" و"دامغ الموجز في الرد على العتقي".
- باب الفلسفة والعقائد؛ نذكر "تأويل الشريعة"، "أساس التأويل"، "شرح الخطب التي لأمير المؤمنين علي"، كتاب "التوحيد والإمامة"، "إثبات الحقائق في معرفة توحيد الخالق"، "حدود المعرفة في

تفسير القرآن والتشبيه والتأويل"، "نهج السبيل إلى معرفة علم التأويل"، "الراحة والتسلي"، "قصيدة المختارة"، "كتاب الهمّة في آداب إتباع الأئمة"، "الأرجوزة"، "مفاتيح النعمة"، "كتاب الدعاء"، "كتاب عبادة يوم وليلة"، "كيفية صلاة النبي" "التعقيب والإنتقاء" "كتاب الحلي الثياب"، "كتاب الشروط"، "منامات الأئمة"، "تأويل الرؤية".

وبجمل القول، كانت للقاضي النّعمان تآليفُ كثيرة. لكنّ أكثر هذه الكتب فُقِد سواء بالإتلاف أو نتيجة أعمال الحاكم العسكري نصر صلاح الدين الأيوبي الّذي انقلب على الفاطميين واستأصل دعوتهم من أرض مصر [27] ، وبعضها في خزائن أصحاب الدعوة سواء في جبال اليمن أو في شبه القارة الهندية أو في قرى الإسماعيلية ببلاد الشام وآسيا الوسطى.

1-3 إسهابه المعرفي:

لقد كان القاضي النّعمان، إذًا، صاحب باع طويل في العلوم والفلسفة. وله إسهاب معرفيّ في مجالي الفقه وقانون الشريعة. ولنا أن نذكر كتابه "دعائم الإسلام" باعتباره القانون الرسمي للإسماعيليين منذ عهد المعز الفاطمي حتى سقوط الخلافة الفاطمية على يد صلاح الدين الأيوبي وذلك 7 محرم 567هـ/10 سبتمبر 1171م. وأخذت أهميّة هذا الكتاب في ازدياد منذ أيّام الخليفة الفاطمي المعزّ إلى أيامنا هذه، إذ يُعدّ المصدر التشريعي الإسلامي بالهند خاصة في الأحوال الشخصية عند مجموعات البُهرة في شبه القارة الهندية.

ويشتمل هذا الكتاب على الفقه الفاطمي كله، فدعائم الإسلام عندهم: الولاية والطهارة، والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد، ولكل فريضة من هذه الفرائض أصول وفروع وآداب، تحدث عنها القاضي النعمان بشيء من الإطناب منطلقا بذكر كل ما ورد في كل فريضة من نصوص قرآنية وأحاديث نبوية، وما جاء عن المرجعيات الفاطمية الأساسية. ونلتمس في هذا الكتاب نفسا تأثريا بمالك بن أنس صاحب المدرسة الفقهية لدار الهجرة وبلاد المغرب والأندلس فمن النادر جدا أن نجد خلافا بين فقه الإمام مالك بن أنس وما ورد في كتاب القاضي النعمان "الدعائم" إلا في ما يخص الولاية، وتبرز قيمة هذا

الكتاب عند كبار مراجع الدعوة الإسماعيلية فقد اعتمد على كتاباته كلّ من حميد الدين الكرماني (ت 411هـ/1021م) والمؤيد في الدين الشيرازي داعي الدعاة الفاطمي في زمن الخليفة المستنصر بالله.

فحجّة العراقين حميد الدين الكرماني أحد كبار الفلاسفة في القرن الخامس الهجري يشير على دعاة الإسماعيلية بدراسة مؤلفات القاضي النعمان، الذي يعتبره من شيوخ الدعوة قبل دراسة كتابه "راحة العقل"[28].

كما نجد شخصية عبقرية وفذّة في النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة، وهي المؤيد في الدين الشيرازي (ت 470هـ/1078م) الّذي كان يُلزم على معتنقي المذهب الإسماعيلي قراءة كل ليلة جمعة بابا من كتاب القاضي النعمان "دعائم الإسلام"[29]. وكتب بعد ذلك كتاب "تأويل دعائم الإسلام"، واسمه الكامل: "كتاب تربية المؤمنين بالتوقيف على حدود باطن علم الدين" في تأويل دعائم الإسلام، وهو في ذكر التأويل الباطني للأحكام والفرائض الّتي وردت في كتاب "دعائم الإسلام"، ويعدّ هذا الكتاب من أهمّ كتب التأويل عند الإسماعيلية وقد اعتمد عليه دُعاة الإسماعيلية في مراحل لاحقة. وقد توفي القاضي النعمان قبل إتمام مصنّفه هذا.[30]

وقد صنّف النعمان إضافة إلى النصوص الفقهية عدّة أعمال نقض فيها آراء المدارس الأشعرية ومؤسسيها (أصحاب المذاهب الأربعة) ، وبشكل خاص الإمام مالك وأبي حنيفة والشافعي، وإن كانت مرجعيته الأولى مالكية[31].

لكن لم تكتب لهذه الأعمال النجاة ما عدا "الرسالة ذات البيان في الرد على ابن قتيبة" و"كتاب اختلاف أصول المذاهب" الذي يتناول فيه مبادئ الفقه الإسلامي[32]. والجدير بالذكر أن الخلفاء الفاطميين كانوا يخصصون الجوائز القيّمة لكل من يحفظ هذا الكتاب عن ظهر قلب، كما أن أولاد النعمان وأحفاده كانوا يقرأونه على الناس في الجوامع أثناء مجالس الذكر والتأطير الدعوى[33]. ونجد في هذا الكتاب عديد الوثائق ذات القيمة التاريخية سواء في أمور القضاء وغيرها أو في تصديه "الردّي" على خصوم الإسماعيلية.

2- الداعية الإسماعيلي:

نجح القاضي النعمان في أن يكون قاضي قضاة الخلافة الفاطمية في عهد المنصور الفاطمي. وتعزّزتْ مكانته كداعية في عهد المعزّ، فأخذت شخصيته تأخذ أبعادا غير الأبعاد الرسمية. لم يكن مجرّد قاضي القضاة الموظف، بل كان من المساهمين في تدعيم الدعوة وفي تحرير مشاكلها وفقهها، وتسجيل أمجادها وأحداثها بما مكّنه من أن يصبح ركيزة قوية للفقه الشيعي الإمامي والفكر الدعوي الإسماعيلي.

2-1- الداعية: الفقيه القاضي :

إن التبني الرسمي لكتاب القاضي النعمان "الدعائم " على أنه القانون والمرجع الرسمي للفقه عند الفاطميين في القاهرة هو إشارة هامة إلى مكانة الشخص من ناحية وإلى مدى قربه من المؤسسة الخلافية من ناحية أخرى.

وتعود بدايات تدرج هذا القاضي في عالمي الفقه والقضاء إلى خدمته للخلفاء الفاطميين الأربعة بدءا بالمهدي في آخر حياته.

وتواصلت خدمة النعمان للبلاط الفاطمي في عصر القائم بأمر الله المنصور، الّذي جعله من قضاته سنة 334 هـ/946م، وذلك في الفترة التي كتم فيها موت والده القائم حتى لا يكثر الإرجاف لانشغال الأذهان، فكان تعيين القاضي النعمان قضاء طرابلس أولا ثم بعد انتقال عاصمة الدولة إلى المنصورية سنة 377 تحول النعمان من قضاء إقليم ليصبح قاضي القضاة على كامل إفريقية[34].

ولقد تزامن صعود النعمان إلى أعلى منصب قضائي في الدولة مع توطيد أركان الدولة عقب الهزيمة المدمرة لثورة صاحب الحمار النكاري وإضعاف قوة المعارضة المالكية (السنية/الأشاعرة) في القيروان[35].

أما في عهد المعز (341-365هـ/953-975م) فقد بلغ القاضي النعمان مكانة أثيرة بسبب تلك الحميمية الخاصة التي ربطته برأس الخلافة الفاطمية حتى قبل وصول الأخير (المعز) لمنصبه الجديد. وأصبح النعمان في عهد المعز المشرف على إجراءات المظالم" على كامل المجال الفاطمي في الطور الإفريقي آنذاك وقد أصدر في ذلك مرسوما خلافيا بتاريخ 28 ربيع الأول 343هـ[36].

وقد نص السجلّ بوضوح في العهدة للنعمان بسلطة واسعة، وأن مجال سلطته امتد ليشمل كل قضية تقع ضمن إطار مسائل "المظالم تعرض عليه مباشرة أو ترد على شكل استئناف من أية ناحية من نواحي الخلافة، وصار ينظر في قضايا لها علاقة بأقرباء الخليفة والمقربين أو مختلف رجال الخلافة وحتى العبيد، أو بالعسكر المقيم في دار الخلافة آنذاك المنصورية، لم يكن بإمكان أي قاض آخر النظر فيها، وفي جميع تلك القضايا كان النعمان يتمتع بسلطات قضائية واسعة مطلقة.

لقد رفعه الخليفة المعزّ إلى أهم المناصب القضائية في الحكومة الفاطمية، يضاف إلى ذلك تكليف الخليفة له بعقد مجالس الحكمة كلّ يوم جمعة، عقب صلاة الظهر في القصر الخلافي، وإلقاء العلوم الدينية للدعوة على المجتمعين، ولا سيما العلوم الباطنية[37].

أما في المجال الدعوي والفقهي فقد مثل النعمان في عهد المعز دعامة من دعائم القيادة الفكرية للخلافة الفاطمية وكلنا يعلم أن للفاطميين قيادتين الأولى سياسية عسكرية والثانية فكرية : تعمل على التنظير لفكر وفلسفة الإسماعيلية والدعوة لخطهم السياسي والعقدي تحت إشراف الخليفة الإمام الذي يسيطر على كل فروع السلطة في دولته وهي الإدارة والدعوة والدعاة[38] إضافة إلى الجيوش الفاطمية.

لقد مكن هذا الإشراف النعمان من الإسهام في تركيز الدعوة وفي تحرير مشاكلها وفقهها، وتسجيل أمجادها وتطوراتها وأبرز أحداثها.

وكانت بواكير الأعمال الفقهية للنعمان في عهد الخليفة المهدي كتاب الإيضاح"[39]. كما كانت له محاولات جادّة في جمع أعداد هائلة من الأحاديث الفقهية المرويّة عن أهل البيت النبوي.

كما أنه اختار من بين ذلك العدد الهائل الأحاديث المشهورة والمعروفة والمأثورة لا غير، بدون الاهتمام بمدى مرجعيتها أو صحتها أو حتى الإجماع حولها، وقد جمع كل هذه المادة من الأحاديث وصنف بها كتابه "الإيضاح" شارحا فيه نقاط الإجماع والاختلاف من قبل الرواة[40].

وقد اقتبس القاضي النعمان في هذا الكتاب سلسلة الإسناد كاملة لكل حديث، وأورد عدة أحاديث لكل مسألة من المسائل الفقهية، أما في الحالات التي كان فيها تعارض ظاهر، فقد لجأ إلى حل

الإشكال عن طريق التوفيق بين البدائل المتوفرة أو بتوضيح سبب تفضيل جانب على آخر، بينما نجد في "الدعائم" اكتفاءه بإيراد حديث واحد لكل مسألة ناقشها.

فمن الواضح أنه سبق أن كانت للنعمان عدة مصنفات فقهية من تأليفه عندما أسند إليه أعلى منصب قضائي، بالإضافة إلى عمل شامل في الفقه الإسماعيلي، يضاف إلى ذلك، أنه لدينا شهادة من "الأستاذ جوذر" - أحد كبار الموظفين المقربين من البلاط الفاطمي طيلة حكم أربعة خلفاء الطور الإفريقي الأوائل - تفيد أنّ كتاب "الإيضاح" كان من أنفس الكتب وأغلاها عند الخليفة الفاطمي الثالث المنصور، وأن الخليفة سأل جوذر الاحتفاظ به في مكان آمن مع الكتب النفيسة الأخرى.

2-2- بين الفلسفة والتأويل البسيط:

شكّلت كتابات القاضي النعمان أسسا فكرية لكلّ علماء الدعوة الذين جاؤوا بعده في مجال الفقه والتّأويل. وما يشدنا إلى شخصية القاضي النعمان، عدم خوضه في التأويلات الباطنية للنص الإسماعيلي أو الشيعي عموما بينما نتلمس ذلك في كتابات إسماعيلية سابقة لعصره أو لاحقه له[41].

فمنهجه الاستقرائي مثّل خطا قويما جمع فيه بين فلسفة التوفيق وعدم إثارة الحساسيات المذهبية ونعراتها البغيضة[42].

وقبل التطرق لنهج النعمان الفلسفي التوفيقي نشير إلى دور آل زيري من صنهاجة ولاة أفريقية الموالين للفاطميين من إعلان قطع كل صلة سيادية أو عقائدية تربطهم بفاطميي القاهرة آنذاك، فبعد تولي المعز بن باديس الإمارة عمل على التخلص التدريجي من الولاء لهم فاعتنق المذهب الأشعري المالكي وقطع سنة 443 هـ/1051م بشكل تام ارتباطه بالخلافة الفاطمية وأقام الخطبة لخلفاء بغداد العباسيين[43]. وعملوا على تقتيل المجموعات الشيعية ذات الولاء والنفس الإسماعيلي الفاطمي، فقد وقعت مصادمات بين السنة من المالكية والشيعة الفاطمية حتى جرى الدم الغزير في القيروان، فكانت "السنة تهاجم الشيعة في الأسواق[44]. وقد قلدت أغلب مدن افريقية القيروان مثل المهدية عاصمة الفاطميين السابقة، فانبسطت أيدي العامة في الشيعة، فقتلوا منهم خلقا كثيرا وأحرقوهم بالنار، ونهبوا ديارهم، بحيث حاول الشيعة الهروب إلى صقلية[45].

إذن هناك بون فكري شاسع بين المؤسسة التفكيرية" زمن القاضي النعمان وسواها في الأزمنة اللاحقة، فعلى سبيل المثال نذكر النهج الفلسفي التوفيقي بين ما هو ظاهري وتأويلي لمسائل فقهية ففي موضوع الطهارة، نجد أن أكثر الموضوعات المثيرة للاختلاف بين المدارس الفقهية السنية والشيعية قد تمركز حول ما إذا كان من الواجب غسل القدمين أم مسحها[46]. واختارت المدارس السنية، بخلاف المدارس الظاهرية، الغسل بناء على قوة بعض الأحاديث النبوية، وبناء على تفسير مختلف للآية القرآنية ذات الصلة[47].

أمّا الشيعة فقد توقفوا، من جهة أخرى، عند القراءة المنطقية للآية القرآنية، واختاروا المسح بتأييد من الأحاديث النبوية والإمامية، وأما النعمان، فقد روى كلتا وجهتي النظر السنية والشيعية في كتابة الأخبار"، وأظهر تأييدا لهما كلتيهما. بل إنّه يقول في لهجة توفيقية أنه بالإمكان القيام بالمسح، لكن الغسل أفضل[48].

وقال في "المنتخبة" إنّ المسح فرض بينما الغسل جامع (أو متفق عليه)، أما في "الاقتصار" فإنه لا يزال مترددا إذ يقول إنه من الواجب مسح القدمين. لكن من الأفضل غسلهما (فيما بعد)[49].

ومن مميزات مؤلفات النعمان وآرائه، عدم الإغراق في التأويل الذي نلمسه بوضوح في مؤلفات جعفر بن منصور اليمن (معاصر للقاضي النعمان: النصف الأول من القرن الرابع الهجري). ذلك التأويل الذي اشتهر به دعاة الإسماعيلية في دور الستر، وقد أشرنا إلى دور فلاسفة الدعوة الفرس وإسهامهم في التأويل في مراحل الدعوة المختلفة.

ويبدو لنا أنّ النعمان ذلك القاضي الفطن له إدراك خاصّ لنوعية العقول التي يخاطبها وضعف قراءتها للفلسفة الإسماعيلية ولا ننسى هنا أن افريقية وبلاد المغرب كان دار هجرة ودعوة في أولها ومن المبكر جدا القول بوجود بيئة متفهمة أو عاقلة لتلك الفلسفات، ولذلك يعتبر النعمان خير من يمثل المدرسة الإسماعيلية في بدايات دور الظهور "الفاطمي" التي التزمت عدم إثارة شعورْ الرعايا السنيين على الحكم الفاطمي[50].

ومن مؤلفاته ذات الطابع الفلسفي الاستقرائي نذكر كتابه "اختلاف أصول المذاهب. وقد أورد فيه خاصّة علّة الاختلاف في حجّة قول المخالفين. وقد استوعب فيه دلائل كل منهم، وذكر جميع ما قالوه في دعواهم جملة، ثم تولّى الرّدّ عليهم في ذلك تفصيلا"[51]. وقد بنى ردوده على أسس مستمدّة من النص القرآني ومن الأحاديث النبوية وأكد في تحليله وشرحه وجوب الاستناد إلى أولي الأمر وإلى الأخذ بأحكام الأئمة من أهل البيت، كما اعتقدت المجموعات الشيعية على اختلاف مرجعياتها وهذا ما جعل النعمان يرد على مخالفيه انطلاقا من مرجعيته العقائدية في قول هؤلاء المختلفين في أحكام الدين، القائلين فيما اختلفوا فيه بآرائهم وأهوائهم فأجابهم : "... لا يقع اسم البيان إلا على ما كان واضحا مكشوفا، وبينا معروفا غير ذي قياس، ولا رأي، ولا اجتهاد، ولا استحسان، ولا نظر، ولا استدلال، كما زعم من قال بهذا المقال"[52].

أمّا مصنّف النعمان" أساس التأويل" فقد وجدنا فيه النظرة العامة والمتداولة للتأويل المبسّط في أوج طور الظهور، والظاهر أن دعاة وفلاسفة المغرب لهم نهجهم الفلسفي والتأويلي الخاص، لذلك كان عمل النعمان يمثل الفكرة الأساسية لهذا العلم تمثيلا متزنا معقولا، ويعرضها عرضا دقيقا مفصلا، تتراءى الأضواء على فقراته ومواده، لتقربها من الأذهان وتدنيها من الأفكار، والتأويل سمي بذلك لأنه رجوع على المآل والمرجع من آل الشيء يؤول أولا ومآلا إذا رجع وعاد، ومآل الكلام مفاده وفحواه، لذلك قالوا بالباطن وضرورته، كما قالوا بالظاهر إلى جانبه، فلا يقبل الظاهر دون الباطن لأن الظاهر والباطن كالجسد والروح تتولد من اجتماعهما الفوائد وتعرف المقاصد[53].

ومهما يكُنْ من أمر فلا بدّ من القول أيضا، بأن التنزيل كما قلنا اختصّ به الناطق في حياته، وهو علم الظاهر وأحكام الشريعة، والعلم المصرح بتعلمه وتبنيه واعتناقه لطبقات العامة كما أن الإمام أو "الأساس" وهذه الكلمة تطلق على كل إمام يعاصر "الناطق"، فعلم الباطن والتأويل والحقيقة ومرموزاتها وتعاليمها السرية لا يمكن الإفصاح عنها إلا للمؤمنين المخلصين للعودة والمتدرجين في مراتبها لذلك فإننا نرى في كتابي النعمان "أساس التأويل" و دعائم الإسلام" يمثلان فكرتين واتّجاهين مرتبطين تمام الارتباط

ببعضهما البعض، فهما يعنيان الباطن والظاهر فالأول، اعتبر أساسا للفلسفة الباطنية، والثاني أساسا للفقه والشريعة[54].

ومن جملة آراء النعمان التأويلية نذكر قوله : "... كلّ شيء في العالم فلا يخلو من أن يكون فيه جوهران مركّبان، إما حار ورطب، وإما حار ويابس، أو بارد ورطب أو بارد ويابس، لا يقوم إلا بذلك ولا يخلو من حالتين، إما أن يكون شاهدا أو غائبا، ولا من صورتين أما أن يكون قليلا أو كثيرا و من نوعين إما أن يكون حيوانا أو إنسانا، أو لطيفا أو كثيفا، أو ثقيلا أو خفيفا..." [55].

ويتيح لنا إمعان النّظر في مصنّفات القاضي النعمان أن نستنتج أنّه لم يكن ذلك الداعية الفيلسوف الباطني في عمق قراءاته للنصوص والتأويلات الإسماعيلية بل كان ذلك المثقف الذي جمع بين ما هو ظاهري فقهي وما هو باطني فلسفي في توازن مبسط لعقول أهل زمنه ومتوصلا بذلك مع بيئته سواء الّتي نشأ فيها أو مجالات الاستقرار الّتي وفد إليها مع أمام زمانه.

القسم الثالث

3- القاضي النعمان : المؤرخ:

يعدّ النعمان من أوائل المراجع التي تناولت بدء الدعوة الفاطمية في مهدها الأول ببلاد المغرب، فكانت مصنّفاته أهمّ رافد فكري لفاطميّ بلاد المغرب في مرحلة التأسيس وما بعدها حتى كان من أهم فلاسفة الإسماعيلية في الطور الإفريقي.

3-1- : إخباريّ الدعوة :

إنّ أعمال القاضي النعمان المغربي، التي خرجت من سرداب التقية، من الوثائق ذات القيمة الكبيرة حول تاريخية أحداث الحراك السياسي والدعوى الإسماعيلي في بلاد المغرب في المرحلة المبكرة ومن بين هذه الوثائق التي ظهرت في زمن الكشف المعرفي ومن أهمها كتابه، افتتاح الدعوة ويعد من المصادر الأصلية حول بدايات الدعوة الإسماعيلية حتى إعلان الظهور وقيام الخلافة الفاطمية في افريقية[56].

وقد أكمل تأليفه سنة 346هـ/950م في عهد الخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله، وتعود أهمية هذا المصنف، إلى أن مؤلفه يعد شاهد عيان ومعاصرًا لأهم أحداث وتطورات الدعوة الإسماعيلية وما آلت إليه من سقوط لنظام الحكم الأغلبي الموالي للعباسيين على أيدي بربر كتامة.

ومن الضروري إيلاء بعض الاهتمام بكتابه "افتتاح الدعوة"[57].

فهذا المصنّف يتناول في معظمه، بواكير الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب الأدنى ابتداء من سنة 280هـ/894م على الداعية الصنعاني ابي عبد الله وتحولها في مرحلة لاحقة إلى تنظيم عقائدي ثم سياسي ليصبح في مرحلة أخرى قوة عسكرية محاربة، مكونها الأساسي قبائل كتامة والموالون لها من البربر انطلاقا من "قلعة إيكجان" وفي "بني سكتان" حيث نشط الداعية الصنعاني[58]. ونجح الأخير في تحويل هذه القبائل البربرية إلى قوة تمكنت من هزيمة كل الجيوش التي تصدت لها وتسيطر على المجال المغربي من صحراء سجلماسة غربا إلى القيروان في إفريقية شرقا.

وقد مضى القاضي النعمان يحفر في تاريخية الوجود الشيعي في المجال المغربي بالمنطقة المغربية، وشرح ذلك بـ"بعثة" الإمام جعفر الصادق المؤلفة من اثنين من الدعاة لاستكشاف أرض المغرب ومدى وجود ولاء لآل البيت النبوي في أوساط البربر، وكان ذلك قبل توجه الداعية الصنعاني بحوالي قرن وخمس وثلاثين سنة.

والظاهر أنّ عيون الإسماعيلية على علم ببيعة الإمام الصادق، لذلك نجدهم أفضلَ مَن استثمر بذراتِ التشيّع المبكّر ببلاد المغرب[59]. وقرب الظهور على يد القائم المهدي" ذي الدماء النبوية وأن مظالم بني الأغلب وولاة أمورهم من العباسيين قد قرب زمن القصاص منهم وعودة الحق إلى أهله ومما جاء

من أشعار تشير بقرب الفرج ودنوه للشاعر النفطي محمد بن رمضان (عاصر المهدي الفاطمي وعينه على القضاء في ميله).

"فدولة القائم المهدي قد أزفت – أيامها والذي أنبأ به الأثر عن النبي،

وفيها قطع مدتكم – يا آل أغلب أهل الغدر فاقتصروا

وقطع أمر بني العباس بعدكم- وقطع آل بني مروان إذ بطروا..." [60].

ومن المعطيات التي أوردها النعمان في شكل مقارنة بين زمن الانتظار قبل بدء الدعوة الإسماعيلية وإعلان الظهور الفاطمي ببلاد المغرب، من ناحية، وزمن الانتظار الذي عاشته شبه الجزيرة العربية قبل بعثه النبي محمد.

وما تميّز به النعمان في "افتتاح الدعوة هو ذلك اليسر لبدايات الدعوة للخط الشيعي الإسماعيلي في بلاد اليمن، وكيف تدرب داعية بلاد المغرب على أيدي صاحب الدعوة في اليمن، ومن هناك انطلقت تاريخية جديدة في الدعوة الشيعية الإسماعيلية ببلاد المغرب حتى قدوم المهدي والقضاء على الأغالبة والقوى المناوئة للفاطميّين.

وهذا ما يجعل من وثيقة افتتاح الدعوة من بين المصادر الهامة جدا الّتي أرّخت للدعوة الفاطمية وما يميز عمل النعمان باعتباره مؤرخًا للدعوة والدولة في مرحلة لاحقة أنه يكتب عن الدعوة الفاطمية لا غير ويعدّ – إلى ذلك – من مُشرّعي الخلافة الفاطمية.

وتعود أهميّة هذه الوثيقة لاقتصارها على تاريخ الدعوة وحدَها دون سائر الأحداث التاريخية الأخرى سواء في منطقة بلاد المغرب أو في العالم الإسلامي في تلك الفترة، بينما نجد تشتّتًا في تناول الأحداث وتبعثرًا عند أصحاب المصادر التي تطرقت لتاريخ الدعوة الفاطمية، سواء عند المراكشي في بيانه، أو شيخ المؤرخين في عبره والدواداري في درته المضيئة والمقريزي في اتعاظه، لم يفلح هؤلاء جميعا في نقل صورة واضحة عن بدايات الدعوة الفاطمية وتطورات أحداثها فبعضهم كان حوليا في سرد الأحداث، بينما تشتتت آراء وعمليات نقل الآخرين وتداخلت موضوعاتها ووقعت في الحشو، وإن سلم، ابن خلدون

والمقريزي من ذلك إذ خصّص كل واحد منهما فصلا للدعوة العُبيدية ثم سردا لأحداث تاريخية عامة رافقت أحداث الدعوة في تاريخيتها.

كما أن أهمية وثيقة النعمان ترجع لسبب جوهري وهو نقل المصادر الإسماعيلية منها، بل اتّخذها المؤرخون الآخرون مصدرا أساسيّا لهم. فابن خلدون في عبره اختصر في الفصل الذي تناوله عن "العُبيديين" بعض فصول وثيقة "افتتاح الدعوة والشيء نفسه نتلمسه مع المقريزي في الاتعاظ والخطط لما نقله الملخص بشكل مطابق لما أورده النعمان في "افتتاح الدعوة". والظاهر لنا أنّ هذه الوثيقة الإخبارية كتبت لجمهور مؤمن بهذه الدعوة غير متشكك في أئمتها ولا طارح حقيقة الدماء الجارية في عروق قيادات الدعوة نبوية أو حاملة صفة الانتحال ؟

وفي قراءة مقتضبة عن تبويب كتاب افتتاح الدعوة وفق الطبعة التونسية الجزائرية لهذه الوثيقة[61]، فإننا نجد المحقق قد عمد إلى مراعاة مراحل الدعوة وترتيب الفصول حسب تقسيم النعمان واعتمادًا على هذا التقييم عمل الأستاذ الدشراوي على تبويب الكتاب إلى أربعة أقسام :

- **الأول** : يرتبط بظهور الدعوة الفاطمية باليمن مع ابن حوشب وعلى بن الفضل اليماني، ثم مع الحلواني وأبي سفيان ثم مع الداعية أبي عبد الله الصنعاني

- **الثاني** : يتصلُ باستقرار أبي عبد الله ببلاد كتامة وظهور أمره بها.

-**الثالث** :على صلة بخروج كتامة بقيادة الداعية الصنعاني على الأغالبة ومجمل التطورات التي أدت سقوط دولتهم

-**الرّابع** : ويتعلق ببداية تأسيس الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها سنة 296هـ إلى سنة الفراغ من تأليف هذا الكتاب سنة 346هـ.

وعلى المستوى التاريخي من الممكن اعتباره صلة متممة لافتتاح الدعوة، خاصة في ما يتعلق بعهد الخليفة المعز لدين الله فهو يتناول جوانب من السياسة الفاطمية الخارجية وكتاب المجالس الذي سجل النعمان مادته إثر كل مجلس من مجالس الخليفة المعز مباشرة متحريا لفظ ما ينقله عن إمام زمانه كما ورد على لسانه[62].

وتعود مرجعية تصنيف النعمان لهذا الكتاب إلى تلك المحاضرات التي كان يلقيها الداعية الصنعاني شخصيا للمستجيبين من قبائل كتامة أركان الدعوة الإسماعيلية في محاضرات منتظمة عرفت باسم "مجالس الحكمة"[63]. ثم أعطاها صفة التنظيم والتبويب ووضحها في كتابه وحدد مادته ومحتواه ومرتبته من الوثوق باعتبار توخّيه التّسجيلَ المباشرَ أولا ثم مراجعة الإمام الخليفة المعز لدين الله الفاطمي لهذه المادة[64].

فكتاب المجالس كتاب تاريخ إضافة إلى أنه كتاب "سير" إضافة إلى كونه كتاب عقيدة وأدب وفيه عرض عن أحداث سياسية كبرى مرتبطة بعلاقات الخلافة الخارجية وأوضاعها الداخلية، وأهم ما يفيدنا النعمان في كتابه مكانته في أجهزة الخلافة الفاطمية ومختلف الوظائف التي تقلّدها.

كما نجد فيه مواضيع عقائدية مثل بحث الإمامة، ومشكلة النسب الفاطمي، ومقالات الغلاة في الأئمة من آل النبي محمد محالا يتّفق مع جوهر عقيدة الإسلام، كذلك تناول مسائل في الظاهر والباطن وكذلك العراقيل التي واجهت الفاطميّين في مد نفوذهم المذهبي على المجتمع الأشعري (المالكي) بافريقية، ودور كتامة باعتبارهم القوة الضاربة والداعمة للفاطميين في الطورين الإفريقي والمصري.

3-2-شخصية المؤرخ من خلال شرح الأخبار:

كانت شخصية إخباري الدعوة إحدى الصفات التي تميّز بها النعمان من خلال مصنّفيْه، افتتاح الدعوة وكتاب المجالس والمسايرات" الذي يعد صلة وتكملة للافتتاح.

ومن الوثائق الهامة التي صنفها النعمان في التاريخ كتاب "شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار"[65].

فقد استعرض في كتابه النقاط الهامة في حياة الأئمة الستة الأوائل من علي بن أبي طالب إلى الإمام جعفر بن محمد (الصادق) وقد توسع في التطرق إلى فضائل ومناقبية علي بن أبي طالب ورد شبهات المخالفين، وعمل على الانتصار للخط الشيعي الإسماعيلي السبعي.

وبالرغم من التقية المحافظة جدا عند الإسماعيلة على كتبهم فقد تمكن إثنان من علماء الإمامية الإثني عشرية أن ينقلا من نصوص النعمان ويقفا عليه بعناية فائقة.

نذكر ابن شهرا شوب (محمد بن علي) (ت588هـ/1192م) وهو من المتأخرين مقارنة مع ابن شهر أشوب وله نفس إطلاعي جيد فقد نقل عن النعمان النصوص ذات الصلة بمناقب علي بن أبي طالب في كتابه[66]. والظاهر أن المجلسي قد نقل عن مصدر ثانٍ ولم يقف بنفسه على كتاب النعمان.

كما وقف على كتاب النعمان المحدث الحاج ميرزا حسين المازندراني المعروف بالنوري (ت 1321هـ/1903م) في وصفه للمؤلف وكتابه "... في الفضائل والمناقب وشطر في المثالب، مشتمل على سبعة أجزاء بنبئ عن سعة اطلاعه وطول باعه وفضله وكماله"[67].

والظاهر أنّ المحدّث النوري تحصل عل سبعة أجزاء من شرح الأخبار ظنا منه أنها كل الأجزاء علما أن أجزاء الكتاب ستة عشر[68]. مشتتة تحتفظ بها المكتبات المختلفة في أنحاء العالم[69].

وقد سلك النعمان في كافة مؤلفاته أسلوبا فريدا فهو لا يحيد عن رغبات الخلفاء الفاطميين، فلا يكتب إلا بإرشادهم وبعد موافقتهم وإذنهم، فكتبه مرآة صادقة لأفكار الأئمة الفاطميين الذين عاصرهم، وقال عنه المجدوع "لم يؤلف تأليفا ولا جمع كتابا متى عرضه على الأئمة شيئا، فأثبتوا منه الصحيح..." [70].

وقد صرّح بذلك القاضي النعمان في كتابة شرح الأخبار" بقوله "جمعت من الآثار في فضل الأئمة الأطهار حسب ما وجدته وغاية ما أمليته واستصفيته فصححت من ذلك ما بسطته في كتابي هذا وألّفتُهُ بأن عرضته على ولي الأمر وصاحب الزمان والعصر مولاي الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى سلفه وخلفه وأثبت منه ما أثبته وصح عنده وعرفه وورثه عن آبائه الطاهرين وأجازني سماعه منه وبأن أرويه لمن يأخذ عني عنه، فبسطت في هذا الكتاب ما أثبته وأجازه وعرفه، وأسقطت ما رفعه من ذلك وأنكره"[71].

وعمد النعمان أيضا في كتابه هذا إلى حذف الأسانيد وعمل على تحرّي كل الروايات واختلافاتها فصححها ثم أسندها على "إمام العصر وصاحب المر"[72]. على حد قوله.

ويمتاز كتابه شرح الأخبار باختصاره الأسانيد وتجنب التكرار في متون الروايات المتفقة أو المتقاربة المعنى[73].

وقد أعتمد النعمان على مصادر كتابه شرح الأخبار مستفيدا من المكتبات الفاطمية الخاصة التي كانت زاخرة بأنواع المصنفات في شتى الفنون والآداب والعلوم، وأهمها كانت مكتبة المعز (ت 365هـ/976م) فقد تناقلت المصادر والمراجع أهميتها وثراءها فقد "كانت مكتبة المعز في المنصورية ثم في القاهرة زاخرة بالكتب وقد بلغ في شغفه بهذه المكتبة أنه كان يعرف مواضع ما فيها من الكتب وما تحويه من المعلومات"[74].

وبالرغم من أنّ النعمان توخى منحى تاريخيا إخباريًّا في هذا الكتاب الهام إلا أنه لم يشر بتفاصيلَ ضافيةٍ إلى المصادر التي اعتمد عليها ، وإنْ أشار في أحيان أخرى إلى أسماء المؤلفين. ومع كل ذلك نجد أنه قد صرح عن بعض المصادر التي تعتبر عندنا مفقودة منها كتاب المغازي لمحمد بن إسحاق (ت 151 هـ/768م)

وقد ذكر النعمان محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي وهو من الأئمة الأعلام في المغازي ليستشهد به كمصدر إضافة إلى ذلك، هناك من مصادر الحديث[75]، إشارات مرجعية للواقدي (محمد بن عمر بن واقد الألمي المتوفى سنة 207هـ/823م) نقلها النعمان بشكل مباشر أو بالواسطة في بعض الأحيان[76].

ومن الأهمية التاريخية لكتاب شرح الأخبار أنّه نقل كثيرا من الأحاديث من كتاب الغدير لمحمد بن جرير الطبري (ت 310هـ/923م) وإن كانت محذوفة الأسانيد إلا أنها تسلط بعض الأضواء على محتوى هذا الكتاب المفقود، حيث يعتبر المصدر الوحيد الذي ذكره النعمان بالاسم ونقل عنه نصوصا كثيرة وتظهر أهمية هذه النقول أن كتاب الغدير كما أشرت مفقود من المكتبة العربية والإسلامية بالرغم من أنه كان في متناول الباحثين في القرن الثامن الهجري[77]. وربما يكون هذا دافعا لنا في البحث بين الرفوف وطيات الكتب عن تلك المصنفات المفقودة ولملمتها وإخراجها للوجود.

وهذا ما يجعل من شخصية النعمان بإنتاجها الغزير والمتنوع منطلقا لنا في التنقيب عن وثائق هي بحكم الضائعة عند الباحثين.

الخاتمة :

شكّل النعمان مدرسة عقدية لها طابَعُها ووقعها المميّزان عند الرّأي العام الإسلامي المستنير باعتباره مرجعا للجميع ومنهلا لكل المجموعات الإسلامية، خاصة وأن آثاره الحية أغنت المكتبة العربية. ومازالت أفكاره تبعث وتحفز على البحث في بحور هذه الشخصية المرجعية ذات التنوع بين ما هو دعوي ومرجعي قانوني وما هو تاريخي وتوثيقي للحركة الإسماعيلية سواء في فترة الستر أو عهد الظهور الفاطمي وبناء دولة الخلافة بمشروعها العقدي والسياسي في الطورين الإفريقي والمصري.

ولا يخفى على أيّ باحث في هذا الشأن (الدراسات الإسماعيلية الفاطمية) ضرورةُ استعادة الدور الذي كانت تقوم به جمعية القاضي النعمان وتلك الملتقيات التي أعطت حلّة فكرية راقية لمستوى مجالات البحث في ديارنا. ولكن لأسباب مذهبية معينة تنكرت الدوائر الفكرية ومن خلفها آنذاك لمراحل هامة من تاريخنا الفاطمي والدور الذي لعبه أبناء كتامة في تأسيس الخلافة الفاطمية، وبروز شخصيات افريقية من هذه القبيلة وغيرها في التطورات التي عاشتها هذه الدولة المغربية المنشأ والقاعدة المشرقية النسب.

وهذا ما يجعل شخصية النعمان تبرز أكثر قوة في مرجعيته للشرائع التي اعتمدتها الإسماعيلية ومكوناتها المذهبية الأخرى على كامل المجال الثقافي والفكري للوجود الإسماعيلي في العالم الإسلامي.

وتبقى الأبحاث والدّراسات محتاجة إلى مزيد التّعمّق لإماطة اللثام عمّا احتجب في كهف التقية أو لإيجاد عمليات توفيقية درءا للنعرات المذهبية المقيتة والمتنكّرة لمكوّنات أساسيّة ومؤثّرة في تاريخنا الحضاري.

الهوامش:

* DAFTARY (Farhad), the Ismailis, Cambridge university Press (2 edition), 2007, p. 177.

[2] القاضي النعمان، تأويل الدعائم، تحقيق محمد حسن الأعظمي، دار المعارف بمصر، (د.ت)، ج1، ص 13، (المقدمة)

[3] غالب (د. مصطفى)، تاريخ الدعوة الإسماعيلية، دار الأندلس، بيروت/لبنان، 1965، ص14

[4] الزركلي (خير الدين)، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت/لبنان، ط 5، 1980م ج8، ص41، راجع مقدمة آصف علي فيضي في مقدمته لكتاب القاضي النعمان دعائم الإسلام في ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام، دار المعارف، القاهرة/ مصر، 1953م، ص11

[5] Gottheil(R), « A distinguished Family of Fatimide cadis in the tenth century ? dans J.A.O.S 27 (1907).

[6] Fyzee (A.A.A), "Qadi An-Nûman ? the Fatimid Jurist and Author ? » J.R.A.S(1934),PP.1-32

[7] مقدمة، كتاب الهمة في آداب إتباع الأئمة. للقاضي النعمان، دار الفكر العربي (د.ت)، ص5.

[8] القاضي النعمان، كتاب المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب الفقي، إبراهيم شبوح ومحمد اليعلاوي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1978م، ص6، راجع هامش 1، ص79

[9] ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت/لبنان، 1970، ج5، ص415.

[10] ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، حيدر آباد سنة 1329 هـ (ط 1)، ج 6، ص167.

---

* أستاذ محاضر في المعهد العالي بجندوبة-تونس

[11] ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، منشورات دار المسيرة، بيروت/ لبنان، 1399هـ/1979م، ج4، ص47.

[12] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، طبعة دار الكتب المصرية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي المصرية، القاهرة 1383م/1963م، م2، ج4، ص106.

13 أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة/مصر، 1411هـ/1991 (نسخة مصورة عن طبعة ليدن)

14 الذهبي (شمس الدين)، سير أعلام النبلاء، تحقيق أكرم البوشي، إصدار مؤسسة الرسالة، بيروت/لبنان، 1403هـ/ 1983م، ج 16، ص150 (الترجمة رقم 106)

15 راجع تقديم الدكتور مصطفى غالب، لكتاب القاضي النعمان، اختلاف أصول المذاهب، دار الأندلس، بيروت/لبنان، 2000م /1420هـ، ص10؛ خير الله سعيد، عمل الدّعاة الإسلاميين في العصر العباسي، دار الحصاد، دمشق/سورية، 1993م، ص196.

16 راجع تقديم آصف بن على أصغر فيضي، القاضي النعمان، دعائم الإسلام، دار المعارف، القاهرة/مصر 1389هـ/ 1969م، جI، ص12.

17 ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص416.

18 ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص416.

19 غالب (د.مصطفى)، ، أعلام الإسماعيلية، دار اليقظة العربية، بيروت/لبنان، 1964م، ص594.

20 A Guide To Ismaili Literature , London 1933, PP 37-40.

21 Biobiliography of Ismaili Literature, Malibu California, 1977, PP 51-68.

22 تقديم محمد حسن الأعظمي لكتاب القاضي النعمان، تأويل الدعائم، دار المعارف، القاهرة/مصر، (د.ت)، ج1،ص 14.

23 غالب (د. مصطفى)، أعلام الإسماعيلية، ص592 (ملاحم الفاطميين في ثورة صاحب الحمار).

24 وهي منظومة ملحمية تتناول أبرز الأحداث والمجريات الكبرى في عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، راجع غالب مصطفى، المرجع نفسه، ص592.

25 راجع تقديم محمد اليعلاوي وآخرون لكتاب القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص17.

26 المجدوع (إسماعيل الأجيني)، فهرست الكتب والرسائل، إيران/تهران، 1966م، ص52.

27 يوجد أكثر من تحقيق لهذا الكتاب: الأول: للدكتورة وداد القاضي بعنوان رسالة افتتاح الدعوة، دار الثقافة، بيروت/لبنان، 1970.الثانية: للدكتور فرحات الدشراوي بعنوان، كتاب افتتاح الدعوة، الشركة التونسية للتوزيع وديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، 1986.

28 ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص435؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، م3، ج6، ص70-ص71.

29 تحقيق، د. محمد كامل حسين و د.محمد مصطفي حلمي، منشورات دار الفكر العربي، القاهرة/مصر، 1952. ص22؛ يوجد تحقيق ثان لكتاب الكرماني، راحة العقل، من قبل د.مصطفي غالب، دار الأندلس، بيروت/لبنان (د.ت)

30 المؤيد في الدين الشيرازي، مذكرات داعي دعاة الدولة الفاطمية، تحقيق الدكتور عارف تامر، إصدارات مؤسسة عز الدين للنشر، 1403هـ/1983م، ص68.

31 حسين (د.محمد كامل)، في أدب مصر الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة/مصر، (د.ت)، ص70.

32 پونوالا(إسماعيل)، "القاضي النعمان والفقه الاسماعيلي"، جمع فرهاد دفتري، في كتاب الإسماعيليون في العصر الوسيط، ترجمة، سيف الدين القصير، دار المدى، بيروت/لبنان، 1999م، ص132.

33 پونوالا(إسماعيل)، "القاضي النعمان..."، ص132.

34 غالب (د.مصطفى)، مقدمة كتاب القاضي النعمان، اختلاف أصول المذاهب، دار الأندلس، بيروت/لبنان، 2000م/ 1420هـ، ص22.

35 - القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص 80- ص81، إدريس القرشي، عيون الأخبار، م5، ص 346.

36 - القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص ص : 51، 57، 69 و 75.

37 – القاضي النعمان، اختلاف أصول المذاهب، ص 51.

38 – القاضي النعمان، كتاب المجالس والمسايرات، ص 386.، ص 387.

39 – وفي مرحلة لاحقة من تاريخ الخلافة الفاطمية أصبح هناك منصب سياسي دعوي وهو داعي الدعاة ويعد هذا المنصب من مفردات الدولة الفاطمية، سيد (د. أيمن فؤاد) الدولة الفاطمية، ص 276، ويرأس داعي الدعاة جيشا هائلا من الدعاة الموزعين في جميع أنحاء العالم الإسلامي والهند، زكار (د. سهيل)، تاريخ الدولة العربية في المشرق : من السلاجقة حتى سقوط بغداد، مطبعة جامعة دمشق، 1411 هـ/1990م، ص 86.

40 – إدريس القرشي، عيون الأخبار، م 6، ص 42.

41 – القاضي النعمان، الاقتصار، نشر محمد وحيد ميرزا، المعهد الفرنسي بدمشق، 1975 ، ص 9–ص10.

42 – راجع في ذلك أعمال أبي يعقوب السجستاني مثال الإفتخار، أو كتابات المدرسة الإسماعيلية الإيرانية، أمثال أبي حاتم الرازي صاحب كتاب الإصلاح أو النسفي صاحب كتاب النصرة وفي مرحلة لاحقة في القرن الخامس الهجري نذكر حميد الدين الكرماني ومؤلفاته الدعوية ذات النفس الفلسفي التأويلي.

43 – تجمع شهادات القدماء من علماء المسلمين سواء كانوا قريبين من القاضي النعمان مذهبيا أو فكريا أو كانوا مخالفين له في الرأي والمذهب، على منزلته ومكانته في رحاب العلم، وأن الذين قدحوا في شخصية وما ذكروه من صفات أساسها ذلك التباين المذهبي لا غير.

44 – ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س، كولان وإليفي بروفنسال، الدار العربية للكتاب، تونس 1983م، ج1، ص 280 ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 5، ص 230، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، م3، ج 5، ص 20، ص 50.

45 – ابن عذاري المراكشي، المصدر نفسه، ج 1، ص 285 ؛ حسن محمود، "محنة الشيعة بافريقية في القرن الخامس الهجري، مجلة كلية الآداب بالقاهرة، مجلد ½، عدد ديسمبر، 1950، ص 94، ص 95.

46 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، م 3، ج 5، ص 71.

47 – إنها إحدى العناصر الأربعة الرئيسية للطهارة، ويجب ألا تخلط بالمسح على الخفين راجع مقال، Poonawala, Ismail. K, EJR. Vol I, PP 224-225.

48 – القرآن الكريم (سورة المائدة 5 : 6)

49 – راجع في ذلك القاضي النعمان، الأخبار، وكذلك مؤلفاته الفقهية.

50 – القاضي النعمان، الاقتصار، ص 15.

51 – القاضي (أبو حنيفة النعمان المغربي)، دعائم الإسلام، تحقيق محمد عبد الغفار، مكتبة مدبولي، القاهرة/ مصر (د.ت)، أنظر، المقدمة، ص 8.

52 – المجدوع، فهرس المجدوع، ص 97.

53 – القاضي النعمان، اختلاف أصول المذاهب، ص 40.

54 – القاضي النعمان، كتاب أساس التأويل، تحقيق عارف تامر، دار الثقافة، بيروت/لبنان، 1960م، راجع المقدمة، ص 9.

55 – القاضي النعمان، كتاب أساس التأويل، ص 9.

56 – القاضي النعمان ، أساس التأويل، ص37

57 – الدشراوي (د. فرحات)، الخلافة الفاطمية بالمغرب، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت/لبنان 1994م، ص 22.

58 – يوجد لهذا المصنف تحقيقين، الأول للدكتورة اللبنانية وداد القاضي، بعنوان : "رسالة افتتاح الدعوة" : رسالة في ظهور الدعوة العبيدية الفاطمية، دار الثقافة، بيروت / لبنان، 1970 الثاني للباحث التونسي الدكتور فرحات الدشراوي بعنوان "كتاب افتتاح الدعوة" طبع الشركة التونسية للتوزيع، تونس، وديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986م.

59 – القاضي النعمان ، رسالة افتتاح الدعوة، تحقيق د. وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت/لبنان، 1970، ص 73؛ ابن عذاري المراكشي، المصدر نفسه، ج1، ص 170.

60 – راجع تفاصيل ذلك في مقال: صديقي (محمد الناصر)، "مسالك التشيع بقسطيلية: (بلاد الجريد)، مجلة انتروبولوجية الأديان، مخبر أنتروبولوجيا الأديان، جامعة بوبكر بلقايد، تلمسان/الجزائر ، العدد الخامس، 2009، ص 173–ص189.

61 – راجع القاضي النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، ص 89، راجع كتاب الأدب بافريقية في العهد الفاطمي، جمع وتحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت / لبنان 1986، ص 24.

62 – راجع هذه الطبعة وصفحات التقديم من ص : هـ إلى ص : و.

63 – راجع المجالس، ص 200 وص 273 (طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م).

64 – دفتري (فرهاد)، الإسماعيليون في مجتمعات العصر الوسيط الإسماعلية، ترجمة سيف الدين القصير، دار السافي بالاشتراك مع معهد الدراسات الإسماعيلية ذ، بيروت/لبنان 2008 م، ص 84–ص85.

65 – راجع تقدم اليعلاوي (د. محمد)، كتاب المجالس والمسايرات، (طبعة 1997)، ص 18.

66 – المجدع، المصدر نفسهن ص 69.

67 – مناقب آل أبي طالب، تحقيق لجنة من الباحثين من النجف، النجف/العراق، 1956م / 1376هـ، ج2، ص 363–365.

68 – مستدرك الوسائل، طهران/إيران، 1384هـ، ج3، ص 321.

69 – المجدوع، فهرسة، ص 69– ص 73.

70 – مقدمة كتاب شرح الأخبار، ج 1، ص 73. ص 74.

71 – فهرست المجدوع، ص 32.

72 – ج1، ص 87

73 – شرح الأخبار، ج 1، ص 88.

74 – القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج 1، ص 126.

75 – حسن (د. حسن إبراهيم) وشرف (د. طه أحمد)، المعز لدين الله، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة/ مصر، ط2)، 1964م، ص 22.

[76] – راجع الجزء ال14 من شرح الأخبار، ج 3، ص 289–ص368

77 – القاضي النعمان ،شرح الاخبار ، مجلد الثالث ،ج13 ، ص177– ص288، ج14، ص289–368،

[78] – راجع مقدمة الجلالي : شرح الأخبار، ج 1، ص 81. حول وجود كتاب الغدير في القرن 8هـ راجع ابن الكثير، البداية والنهاية، القاهرة/ مصر، 1359هـ، ج5، ص 313.